

مفهوم الصورة والصورة الاستعارية عند بدوي الجبل

أ.م.د. حمزة عبيس عبد السادة الجنباني¹، م.د.عدنان موسى خطر²، م.م. ميس محمد قاسم³

جامعة المستقبل – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – قسم الاعلام

hamza.obais@uomus.edu.iq

استلام البحث: 28-12-2024 مراجعة البحث: 02-02-2025 قبول البحث: 16-02-2025

الملخص

محمد سليمان الاحمد بدوي الجبل شاعر سوري، اعتمد في كثير من صوره على عناصر الطبيعة وتنقسم صوره بالتنامي والعمق والبعد عن التسطيح ووظف مكوناتها وعناصرها من صوت ولون وحركة توظيفاً رائعاً، ولكن غلبت على شعره الصورة الاستعارية. حاول بدوي الجبل المزوجة بين تراثه العربي التقليد ونزوعه الى التجديد في تجربته الشعرية. غذى صوره الشهيرة بأنفاس جديدة من نفسه، ووجدانه، وروحه ومعاناته.

الكلمات المفتاحية: الاستعارية، مفهوم، بدوي، الصورة، الجبل.

Abstract:

Muhammad Suleiman Al-Ahmad Badawi Al-Jabal is a Syrian poet who relied in many of his images on elements of nature. His images are characterized by growth, depth and distance from superficiality. He employed its components and elements of sound, color and movement in a wonderful way, but metaphorical images prevailed in his poetry. Badawi Al-Jabal tried to combine his ancient Arab heritage with his tendency to renew his poetic experience. He nourished his monthly images with new breaths from himself, his conscience, his spirit and his suffering.

Keywords: Metaphor, concept, Badawi, image, jabal.

مقدمة

محمد سليمان الأحمد بدوي الجبل شاعر كبير، سوري المولد، ينتمي إلى أجداده سار على نهج وسنن آبائه، من رواد وزعماء المدرسة الكلاسيكية المجددة المحافظة في آن واحد. جدد في شكل القصيدة العربية ومضمونها إذ بث فيها مضامين ومفاهيم كانت جداً نادرة من قبل كالوطنية والقومية والاجتماع، وغيرها فكان شعره صورة صادقة لنفسه، ومراة صافية لخلجاته ووجدانه فطربت لشعره نفوس الشعراء والناس والنقاد، وصغت الى عذب الحانة وروائع اناشيده قلوب العباد. وسنتناول في هذا المبحث جماليات النسيج الفني في الصورة الشعرية عند بدوي الجبل.

من المسلم به في ميدان الأدب أن النصوص الأدبية ترتكز في وجودها على مكونين هما:

- الموضوع أو المعنى الذي يتضمنه النص
 - الشكل العيني الذي عالج الأديب الموضوع من خلاله.
- مع العلم أن هذين المكونين متمازجان في النص الأدبي غير أن تمازجهما لا يحول دون تحليل كل منهما على حده. وعليه فإن أهمية المعاني التي تضمنتها تجربة بدوي الجبل الشعرية التي انتهت من تحليلها في المباحث الثلاثة من البحث

ليست راجعة إلى ارتباطها بتجارب الشاعر في الحياة ولا إلى تفاعل الشاعر الصادق معها فحسب إنما راجعة كذلك إلى طريقة عرض تلك المعاني وأعني بالطريقة الشكل العيني من بنية ولغة شعرية وصورة فيه وإيقاع موسيقي.

قسم البحث على مبحثين: ضم المبحث الأول الصورة الشعرية (مفهومها - ووظائفها) وضم المبحث الثاني: بنية القصيدة والصورة الاستعارية في شعر بدوي الجبل.

اتبعت في بحثي هذا منهجاً استقرائياً إذ اختار النصوص في ضوء ما تتطلبه حاجة البحث ثم الخاتمة وأخيراً المصادر والمراجع.

التمهيد:

بدوي الجبل (1903 - 1981 م)

اسمه ونسبه:

محمد سليمان الاحمد، ولد في عام 1903م في قرية ديفة التابعة لمحافظة اللاذقية، عاش محباً للهاشمين عبر كل العصور واعتز بالانتساب إليهم، وأفصح عن ذلك في قوله:

هاشمي الهوى أحب فما داري وعادي على هواكم وعودي⁽¹⁾

والده هو الشيخ سليمان الاحمد بن أحمد بن حسن بن إبراهيم بن مكزون السنجاري، ينتهي نسبه إلى الغسانة، كان من أئمة علماء عصره. كانت داره منتدى للعلم والأدب، وكان عضواً بالمجمع العلمي بدمشق، وأمه راجية بنت صقر إبراهيم عجيب من قرية (دبنة)، عربية المنشأ والاصل، ماتت وهو في الثانية من عمره، وتزوج أبوه من امرأة تعهدت طفولة شاعرنا بالحنان والرأفة، وغمرته بفيض من عاطفة الأمومة الصادقة، فلم يشعر بفارق بين أمه الثانية وأمه الأولى⁽²⁾.

لقبه:

بدوي الجبل : يروي الأستاذ أكرم زعيتر في مقدمة ديوان شاعرنا سبب تلقيبه بهذا اللقب ، فيقول : " كان الشاعر في صدر يفاعته يرسل شعره إلى جريدة " ألف باء " الدمشقية ، ولم يكن على قدر كبير من تناسب رفعة شعره ، وحدث أن هز العالم نبأ المناضل الايرلندي " ماك سويني " ، محافظ مدينة كروك ، الذي جعل احتجاجه على وجود الانجليز في بلده صياما حتى الموت ، وسبك صلاة لبني وطنه يرتلونها في كنائسهم ، ثم قضى صائماً فنظم شاعرنا تلك الصالة بالعربية، وبعث بها إلى "ألف باء " مع تحية شعرية لروح الشهيد ، وفي اليوم التالي ، رأى قصيدة مذيلة بتوقيع " بدوي الجبل " فسعى إلى صاحبها الأستاذ / يوسف العيسى يسأله عن السبب فأجابه : ان الناس يقرؤون للشعراء المعروفين ولست منهم ، وهذا التوقيع المستعار يحملهم على ان يقرؤوا الشعر للشعر ، وأن يتساءلوا من اين يكون هذا الشاعر المجيد ؟ وأنت في

(1) ديوان بدوي الجبل ، جمع أكرم زعيتر ، دار العود الطبعة 1 بيروت ، 1987 : 212

(2) محمد سليمان احمد (بدوي الجبل) حكاية شعر زهير المارديني ، بيان للنشر والتوزيع ، طبعة 1 ، بيروت ، 1997: 22

ديباجتك بداوة، وأنت تلبس العباءة وتعتمر العقال المقصب وأنت ابن الجبل"، وتوالت قصائد " البدوي" ونقلتها صحف بيروت والناس يتساءلون: عمن يكون؟ أهو خير الدين الزركلي؟ أم هو خليل مردم بك؟ وهما شاعرا الشام آنذاك أن دعا صاحب الجريدة نخبة من الادياء وأعضاء المجمع العلمي إلى احتفال قدم فيه الشاعر: " هو ذا بدوي الجبل، إنه محمد سليمان الاحمد "، وراح البدوي يشدو، وهم في نشوة مما يسمعون، وغلب اللقب على الاسم حتى حل محله في البيت وخارجه (3).

تعلمه وثقافته:

مر الشاعر في تعلمه وثقافته بأربع مراحل تطورت تبعاً لظروفه وسنه.

المرحلة الأولى: تعلمه القرآن الكريم علي يد شيخ قرية (عين التينة) التابعة للاذقية وهو دون العاشرة، وأتقن فن التجويد والقراءات، وفي هذه السن تعهده أبوه بحفظ الشعر الجيد، ومبادئ النحو والصرف.

المرحلة الثانية: درس الفقه الإسلامي على يد أبيه، وكذلك الشيخ يونس حسن رمضان، قرأ في هذه المرحلة على أبيه دواوين كبار شعراء العربية مثل: ديوان المتنبي، والبحتري، وأبي تمام، ومهيار الديلمي، وغيرهم، كما اطلع على أهم عيون ومصادر الأدب والتراث العربي، مثل الأغاني، وخزانة الأدب، والأمال، ولعل هذه المرحلة لا تعدو الجمع والحفظ، دون الوعي الكامل التام بمضامين هذه الكتب في هذه السن المبكرة.

المرحلة الثالثة: هي مرحلة دراسته الرسمية، وفيها تعرف على المناهج المدرسية، ولون ثقافته بألوان علمية، انتقل في هذه المرحلة من جو القرية الهادئ البسيط إلى جو المدينة الصاخب، وكانت الخطوة الأولى التي خطاها نحو الانخراط في الحياة السياسية والاجتماعية والرسمية، فقد بدأ يتعرف على أهل المعرفة، والمسؤولين والزعماء، وهذه المرحلة تفتحت فيها نوافذ ذهنه وعقله، لاستقبال أنغام الكتابات الصحفية والعلمية والأدبية.

المرحلة الرابعة: هي مرحلة البحث الدقيق، والاستيعاب الصحيح، فيها انكب الشاعر على دراسة أمهات الكتب في كل فرع من فروع المعرفة، كالأدب والتاريخ والفلسفة والفقه والشريعة، كما قرأ الكتب المترجمة التي تقع بين يديه، وانخرط في الحياة الأدبية، وأخذ يصوغ روائع القصائد. على أن ثقافته كانت عربية بحتة، لا تداخلها ألوان أخرى، إلا ما وقع عليها عفواً أو مصادفة، على أن هذه الثقافة تفاعلت في قلب الشاعر فخرجت بإبداع جديد فيه ذاتية الشاعر وقدرته (4).

سجنه ومنافيه:

انخرط في حياة الجهاد، إلى أن نشبت الحرب العالمية الثانية، وشعر بما يببته له الفرنسيون مع زملائه المجاهدين، فقطع البيداء إلى العراق، ثم عاد إلى سورية، فاعتقله الفرنسيون وزجوا به في قلعة " كسب " على الحدود

(3) ديوان بدوي الجبل ص 21

(4) حكاية شاعر: زهير المارديني - رياض الريس للكتب والنشر، ص ٢٤-٢٥

السورية، ثم أطلق سراحه، وانتخب نائباً عن اللادقية، وبعد مجموعة من الأحداث والقلال يستبعد عن النيابة، ويصدر أمر بالقبض عليه ويشرد بعد سنة ١٩٥٦م، وينفى ما بين بيروت وإستانبول وفيينا وجنيف وروما وتونس⁽⁵⁾

من اعمال بدوي الجبل الشعرية: قصيدة أهوى الشام، ولبنان و (الغوطان) وقصيدة من أجل الطفولة، وقصيدة وفاء القبور، وقصيدة الحب الفرنسي، وقصيدة اتسألين عن الخمسين وغير ذلك توفي بدمشق عام 1981.

المبحث الأول

الصورة الشعرية (مفهومها، وظائفها)

أولاً: مفهوم الصورة الشعرية:

الصورة الشعرية هي إحدى أهم عناصر الشعر التي تساعد على نقل الأفكار والمشاعر بطريقة قوية وفعالة. تقوم الصورة الشعرية بتوصيل المعاني بشكل مرئي أو حسي، من خلال استخدام التشبيهات والاستعارات والكنائيات التي تجعل الفكرة أكثر وضوحاً وجاذبية. تعتمد الصورة الشعرية على إيقاظ الخيال لدى القارئ، من خلال خلق صور ذهنية حية تنعكس في ذهنه وتثير مشاعره. التشبيه هو أحد أنواع الصورة الشعرية التي تقوم على مقارنة شيء بشيء آخر باستخدام أداة التشبيه مثل "ك" أو "مثل". أما الاستعارة فهي نوع من التشبيه دون ذكر أداة التشبيه، حيث يتم نقل المعنى من شيء إلى آخر مباشرة، مثل أن نقول "بحر من الحب" دون أن نذكر الأداة. المجاز هو استخدام الكلمة بمعنى غير معناها الأصلي بناءً على علاقة معينة، مثل الكناية التي تعتمد على الإيحاء بمعنى دون التصريح به بشكل مباشر.⁽⁶⁾

أما التجسيد فهو تصوير الأشياء غير الحية بصفات بشرية، مثل أن نقول "الرياح تغني" أو "الشمس تبتسم". كل هذه الأنواع من الصور الشعرية تهدف إلى إعطاء الكلمات طابعاً خاصاً، يساهم في إيصال المعنى بشكل أعمق وأكثر تأثيراً. تكمن أهمية الصورة الشعرية في أنها تعمق الفكرة وتجعلها أكثر وضوحاً، كما تحفز خيال القارئ وتثير مشاعره. من خلال الصور الشعرية، يستطيع الشاعر أن يعبر عن أحاسيسه بشكل أكثر قوة وجمالاً، مما يجعل الشعر تجربة حسية وعاطفية بالنسبة للمتلقى.⁽⁷⁾ من خلال التشبيه والاستعارة والكنائية، يستطيع الشاعر أن يعبر عن أفكار معقدة أو مشاعر عميقة بطريقة غير مباشرة، مما يترك مجالاً للمتلقى للتأمل والتفسير الشخصي. التجسيد، من جهة أخرى، يعطي الحياة للأشياء الجامدة أو غير الحية، مما يجعلها أكثر ارتباطاً بالعواطف البشرية.

من خلال التشبيه والاستعارة والكنائية، يستطيع الشاعر أن يعبر عن أفكار معقدة أو مشاعر عميقة بطريقة غير مباشرة، مما يترك مجالاً للمتلقى للتأمل والتفسير الشخصي. التجسيد، من جهة أخرى، يعطي الحياة للأشياء الجامدة أو غير الحية، مما يجعلها أكثر ارتباطاً بالعواطف البشرية.

(5) مع الشعراء المعاصرين: د / متولي البساطي ، مطبعة أبناء وهبة حسان - القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٩٧م : ٢٩٧ - ٢٩٨

(6) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القادر القط دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1978، م: 22.

(7) أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد الفاضلي المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط 3 ، 2001، م: 33.

الصورة الشعرية ليست مجرد تزيين للكلام، بل هي طريقة فعالة للتواصل مع الجمهور على مستوى عميق ووجداني، حيث تمنح الشعر طابعه الخاص، الذي يظل في ذاكرة القارئ أو المستمع طويلاً. (8).

تعتمد الصورة الشعرية على عدد من الأساليب البلاغية التي تجعل المعنى أكثر غنى وثراء. فالتشبيه، مثلاً، هو أحد أساليب الصورة الشعرية التي يعتمد عليها الشعراء بشكل كبير. من خلال التشبيه، يتم مقارنة شيئين غير متماثلين باستخدام أدوات التشبيه (9)، مثل "ك" أو "مثل"، وهذا يساهم في توضيح المعنى وجعل الصورة أكثر وضوحاً في ذهن القارئ. على سبيل المثال، إذا قال الشاعر "عينيك كالنجم"، فإن هذا التشبيه يضفي على العينين بُعداً شاعرياً، ويجعل القارئ يتصور الجمال الذي يراه الشاعر في عيني الشخص المقصود. (10)، وبالرغم من أن المعنى في حد ذاته واضح، إلا أن التشبيه يضفي عليه جمالاً خاصاً، ويجعل الصورة أكثر تأثيراً. أما الاستعارة فهي نوع آخر من الصور الشعرية، وهي تعتمد على نقل المعنى من شيء إلى شيء آخر بدون أن نذكر أداة التشبيه، مما يجعل التعبير أكثر اختصاراً وقوة. في الاستعارة، إذا قال الشاعر "بحر من الأمل"، فإنه لا يعني أن هناك بحرًا حقيقياً، بل يقصد وصف الأمل بالكثرة والاتساع. الاستعارة توظف خيال القارئ بطريقة تجعل المعنى يتجاوز الحدود المألوفة ويأخذ أبعاداً جديدة. (11).

من الأساليب الأخرى التي تضيف عمقاً على الصورة الشعرية المجاز والكناية (12) لمجاز هو استخدام كلمات أو تعبيرات للإشارة إلى شيء آخر غير معناه الحرفي، بناءً على علاقة ما بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي. أما الكناية فهي نوع من المجاز يعتمد على الإشارة إلى شيء دون التصريح به مباشرة، مثل قول الشاعر "أضاءت الدنيا بابتسامتك"، حيث لا يقصد أن الدنيا أصبحت أكثر إشراقاً بشكل حرفي، ولكن الكناية تشير إلى تأثير الابتسامة في حياة الشخص أو في حياة من حوله. (13)، التجسيد أيضاً يعد من الأساليب البليغة في الشعر، حيث يتم تصوير الأشياء غير الحية بصفات بشرية أو خصائص حيوية. على سبيل المثال، إذا قال الشاعر "أخذ الليل يبتسم" (14).

من خلال هذه الأساليب المختلفة، تتمكن الصورة الشعرية من جعل الشعر أكثر من مجرد كلمات. إنها تعبر عن الحالة النفسية للشاعر، وتسمح للمتلقي بالانغماس في عالمه الداخلي. الصورة الشعرية تفتح أمام القارئ أبواباً من التأمل والتفكير، وتجعله يشارك الشاعر في رحلته الوجدانية والفكرية. هذه الصور تتجاوز الكلمات لتجعل المشاعر والتجارب أكثر عمقاً وإحياءً، وتخلق ارتباطاً عاطفياً بين الشاعر والمتلقي. (15).

(8) الأسلوبية، بيير جيرو، ترجمة منذر عياش، دار الحاسوب للطباعة، حلب، ط 2، 1994 م، 44

(9) البنى الأسلوبية، دراسة في الشعر العربي الحديث، كمال عبد الرزاق العجلي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012 م : 20

(10) البيان والتبيين، الجاحظ عمرو بن بحر، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، 1948 م : 423

(11) تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، نعيم اليافي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق - 2008 م : 55

(12) الحيوان، الجاحظ عمرو بن بحر، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1968 م : 62

(13) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، 1978 م : 11

(14) الشعر والشعرية الفلاسفة والمفكرون العرب ما أنجزوه وما هفوا إليه، محمد لطفي اليوسفي، دار العربية للكتاب، تونس، 1992 م : 12

(15) الصورة البيانية، محمد شرف حنفي دار النهضة، مصر، القاهرة، 1965 م : 70

ضافة إلى ذلك، تسهم الصورة الشعرية في إضفاء الطابع الفني على النصوص الشعرية. فالشعر ليس فقط كلمات تُتلق أو تُكتب، بل هو حالة من التعبير الفني الذي يحمل بين طياته معانٍ أكثر تعقيداً وغمي. عندما يستخدم الشاعر الصور الشعرية بشكل متقن، فإنه يعبر عن ذاته وعالمه بطريقة مبتكرة تجعل النص يتجاوز حدود الزمان والمكان. الصور الشعرية تتحول إلى جسر يصل بين الشاعر والقارئ، حيث يتلاقى الخيال والمشاعر في لحظة من التفاعل الإبداعي. لذلك، يمكن القول إن الصورة الشعرية هي بمثابة الأداة التي تمنح الشعر عمقه وجماله. هي التي تجعل من الكلمات أكثر من مجرد رموز، بل تجسد الأحاسيس والأفكار بطريقة تلامس القلوب لصورة الشعرية هي عنصر أساسي في جماليات الشعر، حيث تعمل على تجسيد المعاني والمشاعر بطريقة تجعل الكلمات تتخطى معناها الحرفي إلى مستويات أعمق..⁽¹⁶⁾.

يستخدم الشعراء الصور الشعرية لنقل الأحاسيس التي يصعب التعبير عنها بالكلمات العادية، فهي أداة تساعد في خلق علاقة مباشرة بين الشاعر والمتلقي. من خلال الصور الشعرية، يتمكن الشاعر من تجسيد لحظات خاصة أو تجارب إنسانية متنوعة، مما يجعل النص أكثر تأثيراً على القارئ ويحفزه على استكشاف المعاني الضمنية وراء الكلمات. الصورة الشعرية تمثل الوسيلة التي يصنع بها الشاعر تجربته الخاصة وتقدمها إلى المتلقي بشكل يجعلها قريبة منه، على الرغم من أنها قد تكون محملة برموز أو إشارات غير مباشرة. كما أنها تمنح النص الأدبي طابعاً شخصياً؛ إذ تكون الفكرة أو الحالة التي يمر بها الشاعر محورية في تكوين الصورة، ويقوم الشاعر باستخدام أدواته اللغوية لتحقيق هذه الرؤية. على سبيل المثال، قد يستخدم الشاعر ألفاظاً مألوفة في حياتنا اليومية، لكنه يربطها بمعانٍ جديدة عبر⁽¹⁷⁾. التصوير الفني الذي يخلق تأثيراً بالغاً في المتلقي. باستخدام الصور الشعرية، يستطيع الشاعر إبراز الحالات العاطفية مثل الحب أو الحزن أو الفرح بطريقة تتجاوز الحدث الظاهري ليعكس جوهر هذه المشاعر. من جانب آخر، يُمكن للصورة الشعرية أن تُثير تأملات عميقة لدى المتلقي، إذ تتضمن العديد من الصور رمزية أو إشارية لا يُفصح عنها مباشرة. هذه الرمزية تجعل القارئ يغمس في النص ويستحضر معاني قد تكون بعيدة عن المعنى الظاهري للكلمات، وبالتالي تزداد قيمة النص في ذهن القارئ. الشاعر يخلق عالماً خاصاً مليئاً بالصور التي تتطلب من المتلقي جهداً لفهمها واستخلاص مغزاها، مما يجعل العلاقة بين النص والمتلقي علاقة تفاعلية وليس مجرد قراءة لمجموعة من الجمل تُعتبر الصور الشعرية وسيلة لربط الماضي بالحاضر، مكن أن تصبح الصورة الشعرية أداة من أدوات التواصل بين الأجيال، حيث يتلاقى ما يعبر عنه الشاعر مع ما يعيشه القارئ في زمنه الخاص.⁽¹⁸⁾.

ثانياً: المؤدى الوظيفي للصورة الشعرية

تعتبر الصورة الشعرية واحدة من أبرز الأدوات التي يستخدمها الشعراء للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم بطريقة فنية متميزة، حيث تساهم بشكل كبير في تعزيز العمل الأدبي وتطويره. وهي لا تقتصر على مجرد تزيين النص أو زخرفته بالكلمات الجميلة، بل تؤدي وظيفة جوهرية في فهم وتوصيل الرسائل العميقة التي يسعى الشاعر إلى نقلها. تكمن وظيفة الصورة

(16) الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بشرى صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994، م: 10

(17) الصورة الشعرية سبيل دي لويس، ترجمة: أحمد نصيف الجناحي وآخرين، مؤسسة الخليج، 1984، م: 15

(18) الصورة الشعرية، وجهات نظر عربية وغربية، ياسين عساف دار مارون عبود، بيروت، ط1، 1985، م: 80

الشعرية في نقل التجارب الإنسانية والمشاعر إلى أبعاد أعمق وأكثر تأثيراً على المتلقي. من خلال الصورة الشعرية، يستطيع الشاعر تحويل الأفكار المجردة والمشاعر المعقدة إلى صور مرئية يمكن للقارئ أن يتخيلها ويشعر بها. ⁽¹⁹⁾.

ولا يخفى أن للصورة الشعرية مؤديات وظيفية مشتركة بين الشعراء، فمن خلالها تتبلور أفكارهم، وتترجم انطباعاتهم ورؤاهم، ن أهم الوظائف التي تؤديها الصورة الشعرية هي أنها تجعل النص الشعري أكثر تأثيراً وجمالاً، من خلال تكثيف المعاني واختصارها إلى صور مكثفة. الصورة الشعرية هي وسيلة للتعبير عن مشاعر عميقة قد يصعب نقلها عبر اللغة العادية. فالشاعر الذي يستخدم الصور الشعرية يستطيع أن يجسد مشاعره وأفكاره بأسلوب غير مباشر، مما يُتيح للمتلقي فهماً أوسع وأعمق للنص. هذه الوظيفة تسهم في جعل النص الشعري أكثر حيوية ومرونة، حيث يمكنه أن يلامس جوانب متعددة من العقل البشري، مثل الخيال، والتفكير، والمشاعر، بل وأحياناً الحواس.

بالإضافة إلى ذلك، تقدم الصورة الشعرية للمستقبلين للنص مجاًلاً واسعاً لتفسير المعاني بناءً على تجربتهم الشخصية. فمن خلال الصور الشعرية، لا يقدم الشاعر المعنى بشكل جامد أو ثابت، بل يترك مساحة للمتلقي لإعادة صياغة هذا المعنى بما يتناسب مع تجربته الخاصة. على سبيل المثال، قد يصف الشاعر لحظة فرح أو حزن باستخدام صورة شعرية معينة، ولكن القارئ قد يفسر هذه الصورة بناءً على مشاعره أو تجاربه الحياتية، مما يعمق الفهم ويغني النص.

من ناحية أخرى، تساهم الصورة الشعرية في بناء الأجواء الخاصة التي يتمناها الشاعر، سواء كان يريد أن يخلق جوّاً من الفرح، الحزن، أو الشكوك. على سبيل المثال، إذا كان الشاعر يريد أن ينقل مشاعر الحزن، فإنه قد يختار صوراً شعرية تتعلق بالظلام، أو البكاء، أو الوحدة، مما يساعد في توصيل هذا الشعور بشكل ملموس. الصورة الشعرية تساعد المتلقي على الشعور بما يشعر به الشاعر، فتغني النص بالكثير من الأبعاد العاطفية والفكرية.

تعتبر الصورة الشعرية أيضاً أداة أساسية في تجسيد التجارب والرموز الثقافية والاجتماعية، فهي تعكس بيئة الشاعر وتاريخه. من خلال استخدام الصور الشعرية، يعبر الشاعر عن تأثيرات الثقافة والمجتمع على أفكاره ومشاعره. قد يستخدم الشاعر بعض الرموز أو الإشارات التي تكون ذات دلالة خاصة للمجتمع أو الثقافة التي ينتمي إليها، مما يعزز فهم النص على مستوى اجتماعي أو ثقافي. في هذا السياق، تصبح الصورة الشعرية أكثر من مجرد وسيلة بلاغية، بل هي عنصر مهم لفهم السياق الاجتماعي والثقافي الذي كتب فيه النص.

معروف، فلا يثير فضولاً أو شوقاً إلى تعرف على غير المعروف، أما إذا ورد المعنى عن طريق التمثيل، فإنه يرد بشكل غير مباشر لا يتجلى إلا بعد طلبه بالفكرة ⁽²⁰⁾.

تأخذ الصورة الشعرية دوراً مهماً في تجسيد صراع الأفكار والمشاعر داخل نفس الشاعر، فهي تعكس التناقضات الداخلية التي قد يعاني منها الشاعر في علاقاته أو في فهمه للعالم. من خلال الصور الشعرية، يمكن للشاعر أن يعبر عن

(19) عساف، ياسين الصورة الشعرية، وجهات نظر عربية وغربية، دار مارون عبود، بيروت، ط1، 1985، م: 116

(20) الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق: محمد الفاضلي المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط 3، 2001، م: 126.

أعمق صراعاته النفسية، مثل الصراع بين الأمل واليأس، أو بين الحب والكراهية، أو بين الحياة والموت. هذه الصور تعكس الواقع المعقد للعواطف البشرية، مما يساعد في إنشاء نصوص شعرية غنية بالمعاني والمشاعر التي تلامس قلب المتلقي.

لا تقتصر الصورة الشعرية على الوصف البصري أو الجمالي فقط، بل هي أداة تستخدم لخلق تفاعل عاطفي بين النص والجمهور. فالشاعر الذي يعبر عن مشاعره أو أفكاره باستخدام صور شعرية يستطيع أن يثير في المتلقي ردود فعل شعورية، قد تكون ذات طبيعة خاصة أو قد تحفز التفكير والتأمل في المواضيع التي يتناولها. من خلال الصور الشعرية، يُمكن للمشاعر أن تصبح أكثر قوة، ويُتاح للمتلقي أن يعيش التجربة بشكل شخصي، ما يزيد من تفاعل النص وتأثيره. بالإضافة إلى هذه الوظائف الجمالية والوجدانية، تساهم الصورة الشعرية في تقوية التركيب اللغوي للقصيدة وتعزيز قدرتها على توصيل المعاني المعقدة بطريقة مبدعة. فمن خلال التوظيف الفني للمفردات والألفاظ، يعمل الشاعر على خلق شبكة من المعاني والرموز التي تنفتح أمام المتلقي لتتجسد كصور في ذهنه. هذه الصور تلعب دورًا أساسيًا في توضيح الفكرة الرئيسية للنص، وتعزز من قوة القصيدة وتماسكها.

وتعتبر الصورة الشعرية أيضًا أداة أساسية في تجديد الشكل الشعري، فهي تمنح القصيدة قدرة على التفرد والابتكار. من خلال خلق صور جديدة وغير تقليدية، يتحدى الشاعر القوالب التقليدية ويبتكر أساليب جديدة للإحساس بالواقع وتقديمه. وبالتالي، يصبح النص الشعري أكثر مرونة وإبداعًا، حيث تتداخل فيه الأبعاد الفنية والجمالية مع المعاني العميقة والرمزية. (21)

تستطيع الصورة الشعرية أن تضيف لمسة خاصة لكل تجربة شعرية، فهي تساهم في رسم مشهد ذهني أو انطباع عاطفي يصبح لا يُنسى. من خلال الصورة الشعرية، يمكن تحويل فكرة بسيطة إلى تجربة حية، تحمل طابعًا شخصيًا وعالميًا في آن واحد. في النهاية، لا تقتصر وظيفة الصورة الشعرية على الزخرفة الأدبية، بل هي أداة أساسية تعزز النص وتساعد في تحقيق غايات الشاعر في إيصال رسالته وإحداث التأثير المطلوب في المتلقي (22) من خلال الصورة الشعرية يمكن للشاعر أن يبني نصه على أساس من الرمزية التي تدفع المتلقي للغوص في معاني النص واكتشاف طياته وأبعاده المختلفة، مما يجعل الشعر أداة قوية للتأثير والتواصل مع القارئ على مستويات عدة. فالصورة الشعرية لا تقتصر فقط على إظهار الجمال البصري أو الحسي، بل هي تحمل في طياتها طاقات فكرية وعاطفية، وتساعد في التعبير عن تلك الحالات الذهنية والمشاعر التي يصعب نقلها بالكلمات المباشرة. يُمكن القول أن الصورة الشعرية تلعب دورًا رئيسيًا في تحفيز الفكر وإثارة الأحاسيس، وهي لا تقتصر على الجانب الفني فقط، بل تؤدي دورًا جوهريًا في نقل الفكرة والرسالة التي يود الشاعر توصيلها. تجريدي شكلًا حسيًا، وهذا ما المؤدى الوظيفي للصورة الشعرية يتمثل أيضًا في قدرتها على تأصيل التجربة الذاتية للشاعر، وجعلها أكثر شمولًا وتفردًا. فعندما يستخدم الشاعر صورة شعرية ليعبر عن تجربته الخاصة، يستطيع أن يخلق رابطًا بينه وبين القارئ من خلال التشابه في الأحاسيس أو المشاعر التي تجمع بينهما. (23)، المؤدى الوظيفي

(21) جيرو، بدير، الأسلوبية، ترجمة منذر عياش، دار الحاسوب للطباعة، حلب، ط2، 1994م 27

(22) عصفور، جابر - الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، 1992م: 362

(23) فضل صلاح بلاغة الخطاب وعلم النص، 1978م: 133

للصورة الشعرية يتمثل أيضًا في قدرتها على تأصيل التجربة الذاتية للشاعر، وجعلها أكثر شمولًا ونفردًا. فعندما يستخدم الشاعر صورة شعرية ليعبر عن تجربته الخاصة، يستطيع أن يخلق رابطًا بينه وبين القارئ من خلال التشابه في الأحاسيس أو المشاعر التي تجمع بينهما. ⁽²⁴⁾ ، سواء كانت صراعات عاطفية أو فكرية أو حتى وجودية. هذه الصورة لا تقتصر على تقديم الواقع كما هو، بل تتيح للشاعر الفرصة للتخليق في فضاءات المجاز والتشبيه، ما يسمح له بإعادة صياغة تجاربه الشخصية في إطار أكثر شمولية ورمزية. من خلال هذا الأسلوب، يُمكن للقارئ أن يتعامل مع الصورة الشعرية كمفتاح لفهم معاني النص على مستويات متعددة، مما يعمق التجربة القرائية ويزيد من تأثير النص على مستوى الفكر والمشاعر. عندما يصف الشاعر مشهدًا طبيعيًا أو لحظة إنسانية باستخدام صور شعرية دقيقة، فإنه يساهم في تحويل تلك ⁽²⁵⁾.

اللحظات إلى تجارب ذات طابع شخصي وعالمي في ذات الوقت. على سبيل المثال، يمكن أن يستخدم الشاعر صورة شعرية من الطبيعة كالتشبيه بين هبوب الرياح وحالة من التغيير النفسي، أو بين جمال الزهور وخصوصية لحظات الفرح. هذه الصور تجعل من النص أكثر إثارة للإحساس وتجذب انتباه القارئ إلى المعاني الكامنة وراء الكلمات. في هذا السياق، لا تقتصر الصورة الشعرية على مجرد وصف مشهد، بل هي أداة لتوجيه القارئ إلى فهم أعمق للمعنى الرمزي المتواري خلف الصورة، مما يعزز من قدرة النص على إثارة الانفعالات والتأملات لدى المتلقي. ⁽²⁶⁾

واحدة من أبرز وظائف الصورة الشعرية هي تقديم المعاني المعقدة بطريقة بسيطة ومباشرة ولكن في نفس الوقت مفعمة بالرمزية والجمال. فعندما يتعامل الشاعر مع موضوعات شائكة مثل الموت، الحب، الصراع، أو فقدان، يستخدم الصورة الشعرية لتقديم هذه المواضيع بطريقة قد تكون أكثر قبولًا وإقناعًا لدى المتلقي، لما تحمله من جوانب غير مباشرة ورمزية تساعد القارئ على التفاعل مع النص من خلال تجاربه الشخصية. هذا التفاعل بين النص والمتلقي يصبح أكثر غنى عندما يستخدم الشاعر صورًا شعرية تمزج بين الوصف الحسي والتعبير العاطفي، بحيث يمكن للقارئ أن يختبر المعنى في أبعاده المتعددة، سواء كان عقليًا أو عاطفيًا ⁽²⁷⁾.

وظيفة الصورة الشعرية تتجاوز ذلك إلى دورها الكبير في تعميق التجربة الجمالية. من خلال استخدامها، يتمكن الشاعر من إضفاء أبعاد جديدة على النص الشعري، تجعل من القراءة تجربة شاملة تشمل الذاكرة، الخيال، والمشاعر في وقت واحد. تصبح الصورة الشعرية بمثابة الترجمة البصرية لأفكار الشاعر، بحيث يجد المتلقي نفسه في قلب التجربة الشعرية، مشاركًا فيها بشكل غير مباشر. بهذه الطريقة، يمكن القول إن الصورة الشعرية تتيح للقاصيدة أن تتنفس وتعيش من خلال تفاعل القارئ معها، مما يزيد من ديمومتها وقوة تأثيرها عبر الزمن. ⁽²⁸⁾.

(24) ناصف، مصطفى الصورة الأدبية، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1996 م : 217

(25) بن ذريل، عدنان بلاغة الخطاب وعلم النص من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000، م : 133

(26) ناصف مصطفى الصورة الأدبية، ص 138

(27) الرباعي، عبد القادر الصورة الفنية في النقد الشعري، دار جرير للنشر والتوزيع، 2009 م : 85

(28) عساف، ساسين، الصورة الشعرية، وجهات نظر عربية وغربية، مرجع سابق، ص 115

كما أن الصورة الشعرية تلعب دورًا كبيرًا في إبراز الصوت الشعري الفريد للشاعر. فعندما يختار الشاعر صورًا معينة ويصوغها بطريقة خاصة، فإنه يخلق هوية نصية تميز أعماله عن غيره من الشعراء. الصور الشعرية تكون بمثابة بصمات فنية تكشف عن رؤية الشاعر الخاصة للعالم، مما يجعل كل نص شعري يحمل طابعًا مميزًا يعكس أفكار الشاعر ومشاعره. هذه الصور تساهم في بناء الأسلوب الشعري الفريد، وتعمل على تجسيد نظرة الشاعر الخاصة نحو الحياة والمجتمع والوجود.

عند استخدام الصور الشعرية في التعبير عن أفكار معقدة، يساهم الشاعر في تقليل الحواجز بينه وبين المتلقي، حيث أن الصورة الشعرية تفتح أمام القارئ أفقًا أوسع لفهم النص. من خلال هذه الصور، لا يتم نقل المعنى مباشرة، بل يتم تمرير الرسالة من خلال الإيحاء والتلميح، مما يدفع القارئ للتفاعل مع النص بطرق مختلفة. في هذا السياق، يمكن أن تتنوع الاستجابة العاطفية والفكرية من قارئ لآخر، ما يجعل النص الشعري أكثر غنى وتنوعًا..

من خلال الصورة الشعرية، يمكن أيضًا أن يتمكن الشاعر من خلق انسجام بين مختلف عناصر النص، سواء كانت هذه العناصر بصرية أو سمعية أو حتى حركية، ما يعزز من فاعلية تأثير الصورة على المتلقي. هذه الصورة ليست مجرد تكوين لغوي يهدف إلى الوصف، بل هي أداة فنية محورية تجعل من النص متعدد الأبعاد، بحيث يستطيع القارئ أن يستشعر الأبعاد الحسية والمعنوية في آن واحد. تساهم الصورة الشعرية في تمكين النص من تجاوز الحواجز اللغوية التقليدية، وتمنحه القدرة على العبور إلى أعماق الذات الإنسانية والتواصل مع أعماق المتلقي، إذ تصبح كل صورة نافذة للروح والعقل. (29).

إضافة إلى ذلك، يمكن للصورة الشعرية أن تتجاوز مفاهيم الزمان والمكان في النص الشعري، فالشاعر قد يستخدمها لإحداث تغييرات وتبدلات في سير الأحداث، وبالتالي تحويل اللحظة الشعرية إلى تجارب غير محدودة بالزمان والمكان. وهكذا، تنبع قدرة الصورة الشعرية على إضفاء بعد جديد للقصيدة، مما يجعلها أكثر حرية في تناول المواضيع والأفكار التي قد لا تكون قابلة للتمثيل بشكل مباشر.

ولا تكتفي الصورة بالتعبير عن الواقع - كما سبق وأشرنا - بل تتعداه إلى التعبير عن طموحات ورؤى خيالية، وهذا الاتجاه، ينتقل من ذات فردية إلى ذات فردية أخرى، وهذا ما نلاحظه في الشعر الحديث، لأن الحداثة جاءت بخصائصها لتعالج واقع الناس، وتتفاعل مع

قضاياهم، إما على صعيد الفرد أو الجماعة، والغاية من ذلك ابتكار حالات معينة يفرضها المقام والمقال، فشعور التوتر وغيره الذي يخلقه الأسلوب، هو جوهر العملية الأسلوبية، أو عنصر المفاجأة الأسلوبية، أي توليد اللامنتظر من خلال المنتظر (30). والصورة في مسارها الخيالي نراها تجسد التجريد وتقدمه محسوسًا.

(29) حنفي، محمد شرف الصورة البيانية، دار النهضة، مصر، القاهرة، 1965م : 221

(30) Riffaterre Michael, Essai de Stylistique structural, presentation et traduction de Daniel Delas, Immarion 1971, p228

ثالثاً: أنماط الصورة الشعرية

1- الصورة الواقعية أو التقليدية هي من أكثر الصور شيوعاً في القصيدة العربية، وهي أقرب إلى طبيعة النص الشعري العربي التقليدي، وفيها يعتمد الشاعر إلى نقل الواقع كما هو وقد اتكأ الشعراء التقليديون على شكل الشيء وعلى لونه في صورههم الفنية اتكاء كبيراً ولم يحاولوا النفاذ إلى باطنه⁽³¹⁾. واهتموا في تشكيل بنية الصورة الشعرية على الأساليب البسيطة، والأقل قدرة على الإيحاء، كالتشبيه الخارجي خصوصاً، إذ يقول محمد لطفي اليوسفي، والحال أن مطابقة الصورة للواقع أمر يحبط طاقاتها الفنية ويحد من اندفاعاتها الدلالية. إذ يصبح الغرض منها كأنه مجرد الإخبار عما هو موجود في الواقع العيني، ملتصقا بأصله الواقع ينزع إلى نقله نقلاً حرفياً مسطحاً... حتى لكأن الصورة الشعرية لا تخفي وراءها رؤية للعالم، وموفقاً من مشكلاته وطريقة حضور فيه، بل هي مجرد صنعة قائمة على قواعد تركيبية متعارفة يمكن تعلمها⁽³²⁾ وهذا ما دفع أدونيس إلى القول بأن العرب عدوا الشعر مجرد صياغة شكلية وفقاً للقواعد المتداولة بين الشعراء⁽³³⁾.

والشعر بكل أشكاله لا يقوم على المجازات اللغوية حصراً، فبإمكان الشاعر أن يرسم صورة الواقع بدقة، ويصور الحقيقة كما هي، وهذا ما يستدعي أسلوباً لغوياً يصوغ لغة التركيب صياغة بلاغية، بعيداً من الاستخدام المعتاد والبسيط للغة. واللافت أن شعراء الحداثة قد اعتنوا بجوانب حياتية كثيرة، فتناولوا قضايا الواقع الإنساني بأبعادها كلها، وهذه العناية قادتهم إلى سلوك أسلوب التعبير بصورة حقيقية، حافظت على جمالية مؤداها، ولم تفقد وظيفتها البلاغية.

وعلى الرغم من استقلالية كل من البلاغة والأسلوب، فإن الصلات القائمة بينهما أكدتها النظريات الأدبية، إلا أنها ميزت الأدب من الناحية الجمالية معللة ذلك بتعدد الصور البلاغية ووظيفتها في الخطاب الأدبي⁽³⁴⁾.

2- الصورة التفاعلية أو النشطة: يعد التعبير بالصورة الفنية التفاعلية، أو النشطة من أبرز أساليب التعبير وأكثرها فاعلية في عقد الصلة بين الكاتب والمتلقي، وبلورة الصورة بكفاءتها الجمالية مرهون بمقدرة الشاعر على التعبير عنها بأساليب متعددة، أو في صياغات متنوعة أو مقارنة معناها من طرق متغايرة ومتعددة، وتتميز بارتباطها الوثيق بالإرادة، أو ما تقدمه من خلال الصياغة لجهة تداخل الصلات بين الدال والمدلول.

والواضح من دلالات الصور أن الصورتين الواقعية والمتحركة وصفت حال الشاعر في مواقفه وانطباعاته المتعددة أكثر مما عبرت عن المعنى، وذلك لرغبة الشاعر في نقل صورته المحزونة إثر حصول المفاجعة. فجاءت كلتا الصورتين لتتكاملتا في ما بينهما، وتبلورا الصورة العامة للمشهد، رغم ما شاب الصور النشطة من جمود، فالحضور المزدوج لدلالة المطابقة ودلالة الإيحاء؛ هو الذي يحافظ على الالتباس الشعري في الصورة⁽³⁵⁾.

(31) اليافي، نعيم تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2008، م: 24

(32) اليوسفي، محمد لطفي الشعر والشعرية الفلاسفة والمفكرون العرب ما أنجزوه وما هفوا إليه، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992، م: 9

(33) سعيد، علي أحمد: زمن الشعر أدونيس، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، 1978 م: 42

(34) بن ذريل، عدنان النص النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط 2000، م: 48

(35) فضل، صلاح، علم الأسلوب مبادئ وإجراءاته، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1998، م: 198

بنية القصيدة والصورة الاستعارية عند بدوي الجبل

أولاً: بنية القصيدة والصورة التشبيهية

اتسمت القصيدة الشعرية عند بدوي الجبل - مثلما بينت سابقاً - بكونها قد تجاوزت في معانيها، نطاق الحدث وتعاملت مع أثر الحدث، فصارت من ذلك النوع من القصائد الذي يشبه مدينة تتعدد أبوابها بتعدد روادها، ويمكن أن نطلق عليها القصيدة (الكنز)، أي أنها تتفتح عن أكثر من معنى وتأخذ أكثر من تصور، ويمكن أن نبصر في مداها بعداً سياسياً، وبعداً اجتماعياً، وبعداً ذاتياً. ولا يظن أن هذه الأبعاد أغراض متعددة في القصيدة. بل كلما قرأت القصيدة هبت عليك رياح جديدة بمعان جديدة⁽³⁶⁾.

ان قصائد الشاعر بدوي الجبل حين نقرأها للوهلة الأولى، يخيل إلينا أنها تعالج أغراضاً بعينها. ولكننا حين نعيد قراءتها بوعي أكثر، نكتشف أن ما تتضمنه أعمق من أن يكون مجرد أغراض مرتبطة بوقائع محددة لا تتجاوزها، وإنما هي معان لا غنى للإنسان والحياة عنها لأنها نبعت أساساً من الوجدان الذي تفاعل مع أثر تلك الوقائع.

وانطلاقاً من هذه العفوية، قامت بنية القصيدة في تجربة بدوي الجبل الشعرية. ويشرح الشاعر رؤيته لبنية القصيدة - التي تجسدت في تجربته - قائلاً: "لا أؤمن بوحدة الشعر فالمعاني هي التي تملي نفسها والذي يريد وحدة الشعر، كأنه يصنعه صنعة، ولا يبده إبداعاً والصنعة مهما تألفت لا تكون إلهاماً، ولا ضوءاً ولا عطراً⁽³⁷⁾

والحق أن رؤية بدوي الجبل لبنية القصيدة صائبة إلى حد بعيد؛ لأن الذي ينظم قصيدة وفي تصوره مخطط مسبق يرى ضرورة صبها فيه، فتتحقق فيها الوحدة ببعديها الموضوعي والعضوي أو لا تتحقق، إنما هو صانع. والصنعة غير الإبداع...!

وتتناغم رؤية بدوي الجبل هذه مع بعض مذاهب النقد الأدبي الأوربي الحديث، كالرمزية التي ترى في تعدد موضوعات القصيدة، وانقارها إلى الوحدة العضوية أو الموضوعية دليلاً على الشاعرية المطبوعة التي تدرك بفطرتها أن لغة الشعر الوجداني غير لغة العلم، والفلسفة وترى أن بسط الأفكار بطريقة منطقية يكسبها صراحة والصراحة والمنطق من خواص العلم والفلسفة لا من خواص الشعر، فالشعر وليد الخيال والعاطفة ومن الذي يذكر أن الأمور تجري في ميدان العاطفة والوجدان على غير النهج الذي تجري عليه في ميدان المنطق وأسلوبه⁽³⁸⁾.. وقد استمد الشاعر بدوي الجبل رؤيته لبنية القصيدة أساساً من طريقته في الإبداع الشعري وعن هذه الطريقة يقول: أنا لم أحاول في حياتي أن أنظم شعراً وإنما تمتلئ نفسي على مهل، وأعرف أن نفسي تمتلئ قليلاً قليلاً بصور أجملها، ومعان أجملها. وقد يطول هذا معي أسابيع، ثم يمر

(36) صابر عبد الدايم، التجربة الإبداعية في ضوء النقد الحديث، 2002-2008: 34

(37) بدوي الجبل الأعمال النثرية. ص 93

(38) درويش الجندي، الرمزية في الأدب العربي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1972م: 89

شطر بيت، وقد يكون صدرا، وقد يكون عجزاً فأتيت ثم تتوالى على الصور والمعاني والخيالات والنغم والمفردات دون ترتيب فأثبت كل ما يأتي، وأكون في حال أقرب إلى الغيبوبة منها إلى الصحو⁽³⁹⁾، ويُفهم من هذا القول أن الشاعر بدوي الجبل لا يعتمد - في نسج قصائده وضع مخطط مسبق يصب فيه تلك القصائد وإنما يترك نفسه على طبيعتها، حتى إذا أتاه الشعر دون افتعال استحضره، يأتي بناء القصيدة عنده هو الآخر قائماً على العفوية.

ورب سؤال يطرح هنا وهو: ألم يتأثر الشاعر بدوي الجبل بالشعراء العرب القدامى، ألم يكن من بين ما تأثر به هو ذلك البناء الذي تميزت به القصيدة العربية القديمة من حيث تعدد موضوعاتها، فاتخذها البدوي نموذجاً صب فيه قصائده...؟ ويجيب بدوي الجبل، معترفاً بأنه قد تأثر فعلاً بالشعر العربي القديم في عصور ازدهاره، ولكن كما قال إن التأثير لا يعني التقليد ولا المشابهة، فالشاعر الأصيل لا يقلد ولا يشابه، الشعر كالحسن كل شاعر له طابعه المميز وديناه المميزة⁽⁴⁰⁾

ومن المسائل المهمة التي ينبغي أن أثبت في هذا السياق، أن الشاعر بدوي الجبل كان ينحاز - في رؤيته للشعر - إلى القيم الفنية وحدها؛ فإراها هي الفيصل في جودة العمل الشعري أو رداءته، ولا ينحاز إلى هذه المدرسة الشعرية أو تلك.

وفي ذلك يقول: " أنا لا أؤمن بوجود مدارس شعرية؛ فالشعر إما أن يكون رفيعاً أو لا يكون ولا وسط. وهناك شعراء لا مدارس " (41)

والشاعر يعبر بموقفه هذا عن انفتاحه على الجماليات الفنية - وغير الفنية - في كل الآداب⁽⁴²⁾ بغض النظر عن اسم المدرسة الشعرية التي تبنت تلك الجماليات، وأنه لم يصطنع ترجمة تلك السمات الفنية في قصائده، فجاءت متناغمة مع طبيعة تجربته الشعرية المرتكزة على العفوية.

جاءت بنية قصائد بدوي الجبل على ثلاثة أنواع يندرج في النوع الأول: قصائد الشاعر المطولة التي تتجاوز كل منها الثمانين بيتاً. ومن هذه القصائد قصيدة " من كسعد"⁽⁴³⁾، التي كتب تحت عنوانها هذا ما يلي: "كان سعد الله الجابري دنيا من البطولة والوطنية والمروءة والصراحة والعفة والوفاء وكان بينه وبين الشاعر من الصداقة والود ما هو أقرب من كل قريب"⁽⁴⁴⁾

(39) بدوي الجبل الأعمال النثرية . ص 92

(40) هاشم عثمان، بدوي الجبل آثار و قصائد مجهولة ، رياض الريس للكتب والنشر ، 1998م : 109

(41) نجيب البعيني شعراء عرب معاصرون ، دار المناهل للطباعة والنشر و التوزيع ، 2008م : 239

(42) سبق الحديث في المبحث عن اهتمام الشاعر بالاطلاع على كل جديد في ميدان الأدب وغير الأدب

(43) ديوان بدوي الجبل من ص 224 إلى ص 234

(44) ديوان بدوي الجبل هامش ص 224

وتتشكل القصيدة من ستة وتسعين بيتا موزعة على ثلاثة عشر مقطعا. وقد جاء مطلع القصيدة منسجما مع الأثر النفسي العميق الذي خلفته وفاة سعد الله الجابري في وجدان الشاعر وأما معاني القصيدة، فتدور حول القيم التي عاش لها سعد ومات من أجلها. ومطلع الصيدة هو(45):

سأل الصبح عن أخيه المفدى أيها الصبح لن تشاهد سعدا

رسم لنا الشاعر في البيت السابق صورة استعارية تشخيصية اذ شبه الشيء المجرد (الصبح) بالكائن الحي العاقل (الانسان) وحذف المشبه به (الانسان) وبقى لازمة من لوازمه وهي السؤال بوصفها صورة استعارية .

هذا مطلع يعبر عن الألم الذي لم يصب الشاعر فحسب، بل أصاب الصبح أيضا... والصبح هو بداية النهار وفيه من الجمال ما فيه إلا أن صبح ذلك النهار - الذي خطف فيه الموت سعد الله الجابري - لم يكن كحاله في سائر الأيام .. لقد بدا حائرا لأنه لم يجد أخاه سعدا. وحين سأل عنه، جاءه الجواب من الشاعر الحزين: " أيها الصبح لن تشاهد سعدا" بعد اليوم...!

وليس من شك أن في البيت لفظة جميلة، وهي أنه إذا كان الشعراء الرومانسيون يرون في الطبيعة أهمهم الرؤوم، فإن بدوي الجبل - وهو واحد منهم - يرى أن ما يربط كذلك بين الإنسان المكافح من أجل سيادة قيم الحق والخير، وبين عناصر الطبيعة هي علاقة الأخوة الحانية!

وهكذا سارت جل قصائد الشاعر بدوي الجبل التي شبهها سيف الدين القنطار بقوله: هي كالقصور المشيدة ، تتعدد حجراتها واجنحتها فتتناظر مقاصيرها وشرفاتها، ويوحد بين أركانها التناظر والتشابه والزخرفة وحسن التقسيم(46).

2- الصورة الاستعارية

يعالج أكثر السيميائيين فنون التعبير كالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز من منظور سيميائي ويعتمد النص على ذلك لأبعادها الجمالية. لأنها هي الفنون الأساسية في إيصال الأفكار والمواقف إلى العقل الباطن للسامع. ذلك أنها تحتل مضامين عديدة تفتح للسامع خيارات متعددة لتحديد المعنى فيشغل عقله الواعي بالبحث عن المعنى والمضمون(47).

أما مادة الشاعر التي يرسم بها تلك الصور أو يؤلف منها الشعر فهي التي تختص باستخدام التغيير المتمثل في التشبيه والاستعارة وبهذه الوسائل تقاس جودة الشعر(48)

(45) المصدر نفسه، ص 224

(46) سيف الدين القنطار، بدوي الجبل دراسة في حياته وشعره، دار الينابيع، دمشق، 2004م : 128

(47) العزاوي، 2010م: 177

(48) بوزقي والآخرين، 2015م: 44

فبدوي من الشعراء الذين استخدموا الصور الجمالية في أشعارهم، وبذلك يظهر مدى شوقه وحنينه إلى وطنه. إنَّ الصور الجمالية هي الأكثر توظيفاً من قبل بدوي بين سائر الأساليب الفنية الأخرى. من هذا المنطلق، سيظهر من خلال دراسة أشعاره، مدى نزوعه إلى استخدام هذه الفنون. فيصور بدوي في هذه الأبيات واقع حياته المعيش إلى جانب ما يخلقه من الاستعارات البديعة. اذ نلاحظها في قصيدة "أين أين الرعيل من أهل بدر" (49)

أرز	لبنان	أيكّة	في	ذرانا	والفراتان	ماؤنا	والنيل
ورباحينا	على	تونس	الخضراء	خضراء	أين	منها	الذبول
ما	شكت	جرحها	على	البعد	إلا	رف	قلبي
ولثمتُ	الجراح	فهي	تُغورُ	يَنشَهُي	عُطُورَها	التقبيل	

رسم لنا الشاعر في هذه الأبيات صورتين استعاريتين ففي البيت الثالث شبه الشيء المجرد وهو الشكوى بالإنسان وحذف الإنسان وهو المشبه به وإبقالا لازمة من لوازمه وهي الشكوى المشبه فانزل من لا يعقل بمنزلة العاقل وهو الإنسان الذي يشكو جراحه بوصفها صورة استعارية . وفي البيت الرابع انزل الجراح منزلة الخد او الفم الذي يلثم وحذف المشبه به وهو الخد وابقى لازمة من لوازمه وهي اللثم بوصفها صورة استعارية.

هناك نزوع إلى تقديم المعنى المحدد، والملفوظ والصريح أو الموافق للعقل السليم. فيما يتعلق بالعلامات اللغوية، إن المعنى المباشر هو الذي يمكن الحصول عليه عادة في المعاجم. وتشير الدلالة الضمنية للعلامة إلى تداعيات اجتماعية ثقافية وشخصية (إيدولوجية، وعاطفية و...). فالدلالة الضمنية مرتبطة بالسياق وهي أكثر تعددية على التفسير من دلالاتها المباشرة (50)

إن الشاعر في هذه الأبيات من خلال تكراره لمفردة "الجراح" يؤكد على وحدة الشعور العربي، فهو يرى أنَّ جراحه جرح مشترك تعاني منه الأمة العربية ؛ فالذي يجمع الشعب العربي ليس فقط اللغة والتاريخ بل وحدة المصير والآلام المشتركة هي التي تجمع الأمة العربية. ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن سيميائية الجرح قد تجاوز معناه المباشر إلى ما هو أعمق؛ فمفردة "الجراح" استعارة مصرحة عن المعاناة والمصائب المشتركة التي يعاني منها أبناء الأمة العربية. وهي تعمق الشعور بالألم من الواقع المعيش. وهكذا إمام القاري بهذه العلامات اللغوية ممّا يؤدي إلى فهم الدلالات الخفية في النص الشعري وفك رمزها ومعرفتها. فسيميائية هذه الصور الشعرية أيضاً يساعد المتلقي على استكناه مضامين النص وتأويل محمولاته الدلالية.

(49) الجبل، 2000، م: 239

(50) تشاندلر، 2008 م: 236-237

يقدم سوسير تقسيماً مفهوماً ضمن عنوان المحور العمودي والأفقي "نظم القيم" في اللغة. من خلال هذين المحورين يمكن أن تركبت الكلمات في خط متوال واحد (العبارات والجملة) أو أن يتم تعويض الكلمات الغائبة بأخرى حاضرة ضمن توالي النظام اللساني الخاص. وهذا ما تجلى في قول بدوي: (51)

ومن حقه أن أحمل الجرح راضياً ومن حقه أن لا ألوم وأعتباً

يتذكر الشاعر رفاقه المناضلين الذين استشهدوا أثناء تصديهم للجانب المحتل فيستمد عزيمته وصموده وهو يقارع اطماع العملاء والغزاة التي فرضوها على بلده.

أصبح الشاعر يفر إلى ذلك العالم الذي ضم رفاقه في النضال بعد أن رحلوا عن الدنيا فيعيش على ذكراهم ويستمد بعض عوامل الصمود في وجه الأوضاع الغربية التي فرضت على وطنه بالقوة" (52) إذن يقول الشاعر:

ضما الثرى من أحبائي ليوث شرى وغاب تحت الثرى منهم شمس هدى

قبور أهلي وإخواني وغافية من الطيوف وأسرار ورجع صدّى (53)

نرى في هذا البيت صورة استعارية في قوله: "شمس الهدى" حيث جعل "الشمس" بمنزلة الأوبة. مفردة "شمس" في البيت الأول استعارة عن أصدقاء الشاعر الذين استمروا في المقاومة في سبيل الوطن، والشاعر ظل يعيش مع ذكراهم. فهو من خلال هذه الصورة أراد أن يبرز مكانة أصدقائه ويعظمهم ويجعل من مقامهم مقاماً بعيد المنال. فمفردة "الشمس" خرجت عن معناها الحقيقي إلى الدلالة عن رفاقه والعلاقة الممكنة بين المدلول الحقيقي والمدلول المجازي هي المشابهة، إذ شبه بدوي رفاقه بالشمس في رفعة مقامهم. نرى بأن الشاعر لم يفقد أمله في نهضة الأمة العربية، فهو يرى أن هذا الأمل سيتحقق لا محالة: (54)

ما للسفينة لم ترفع مراسيها ألم تُهَيَّئ لها الأقدار رباناً

ضمي الأعاريب من بدو ومن حضر إني لألمح خلف الغيم طوفانا

في عجز البيت الثاني رسم لنا الشاعر صورة استعارية، إذ انزل الغيم منزلة الأرض التي يحصل فيها الطوفان فحذف المشبه به وهو الأرض وأبقى لازمة من لوازمه وهي الطوفان بوصفها صورة استعارية، فالشاعر هنا يدعو إلى النضال والكفاح من أجل طرد المستعمرين لنهضة الأمة العربية.

(51) الجبل : 2000 م: 164

(52) فروجي، 2011م: ص138

(53) الجبل ، 2000 م: 177-178

(54) الجبل 2000، م: 86

تم توضيح أهم الصور الشعرية في ديوان بدوي جبل، إلا أننا لم نتمكن من ضبط كافة الرموز اللغوية، نرى أن الرموز الجمالية تشغل مرتبة أعلى من بين الرموز اللغوية في أشعار بدوي جبل.

نجح بدوي الجبل في تجربته الشعرية على مستوى الشكل والمضمون فعلى مستوى الشكل كانت لعة شعرية، وبنية، وصورة شعرية، وإيقاع مرتبطة بتجاربه في الحياة وتفاعله الصادق معها.

أما على مستوى المضمون فأحاسيسه كانت تتفاعل في وجدانه إذ ارتقت موضوعاته إلى أبعاد إنسانية.

الخاتمة

1- حاول الشاعر بدوي الجبل قدر طاقته في تجربته الشعرية الوطنية المواءمة والمزاوجة بين تراثه العربي التليد، ونزوعه إلى التجديد والتحرر.

2- يتخذ البدوي التصوير أداة لتجسيم عالمه الداخلي، المحمل بالمشاعر والخواطر والهواجس والفكر،

3- لم يقف التصوير عنده عند حد المعطيات الحسية والمشابهات الشكلية، إنما تخطى ذلك كله فكان معبرا عن مكنون نفسه وخبايا قلبه.

4- اعتمد البدوي في كثير من صوره على عناصر الطبيعة بكل جوانبها من حوله، فشكل مفرداتها حيناً، وأنس بعض عوالمها وأسقط عليها أحاسيسه ومشاعره حيناً آخر.

5- تتسم الصورة عند الشاعر بدوي الجبل بالتنامي والعمق والبعد عن التسطيح، كما وظف مكوناتها وعناصرها من صوت ولون وحركة، توظيفاً فنياً رائعاً، كما غذى الصورة بأنفاس جديدة من نفسه وروحه ووجدانه ومعاناته، مما جعلها حية معبرة قادرة على حمل بوح نفسه، وهموم وجدانه وهموم الآخرين.

6- اتسم شعر بدوي الجبل الوطني بالصورة الاستعارية إذ كانت الصورة الاستعارية هي المهيمنة في شعره الوطني.

7- جاءت بنية قصائد بدوي الجبل على ثلاثة أنواع: نوع قائم على تعدد المعاني، ونوع تتوفر فيه الوحدة الموضوعية أو وحدة المعنى، ونوع ثالث تتوفر فيه الوحدة الموضوعية والعضوية معاً.

المصادر والمراجع

أولاً : - القرآن الكريم .

ثانياً : - الكتب والرسائل والاطاريح

- 1- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، عبد القادر القط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1978 م.
- 2- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط 3/2001م.
- 3- الأسلوبية، بيير جيرو، ترجمة منذر عياش، دار الحاسوب للطباعة، حلب، ط 2، 1994م
- 4- بدوي الجبل (2009م) "الأعمال النثرية" ص 93، دار العودة للنشر، بيروت.
- 5- بن ذريل، عدنان (2000م) " النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق" ص 48، منشورات اتحاد الكتاب العرب .
- 6- بن ذريل، عدنان بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 133.
- 7- البنى الأسلوبية، دراسة في الشعر العربي الحديث، كمال عبد الرزاق العجلي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م.
- 8- بوزقزي، خيرة والآخرين (2015م). الجمالية السيميائية في شعر نازك الملائكة "قصيدة خمس أغان للألم أنموذجاً. رسالة ماجستير جامعة الجليلي الجزائر.
- 9- البيان والتبيين، الجاحظ، عمرو بن بحر، تحقيق: عبد السلام هارون مكتبة مصطفى البابي الحلبي، 1948م..
- 10- تشاندلر، دانيال (2008م). أسس السيميائية. ترجمه طلال وهبة، مراجعة ميشال زكريا، ط1. بيروت المنظمة العربية للترجمة.
- 11- تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، نعيم اليافي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- 12- الجبل، بدوي (2000م). ديوان بدوي الجبل. ط2، قم المقدسة: مؤسسة النشر الإسلامي.
- 13- الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط 3 / 2001م. ص 126.
- 14- حنفي، محمد شرف (1965م) " الصورة البيانية، " ص 221 ، دار النهضة، مصر، القاهرة .
- 15- الحيوان الجاحظ، عمرو بن بحر، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1968 م.
- 16- د. متولي البساطي (1991م) مع الشعراء المعاصرين "، مطبعة ابناء وهبة حسان، الطبعة الأولى، القاهرة
- 17- درويش الجندي، الرمزية في الأدب العربي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- 18- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت، 1978 م .
- 19- ديوان بدوي الجبل (1978م) جمع اكرم زعيتير، دار العودة ، الطبعة الأولى ، بيروت.

- 20- الرباعي، عبد القادر (2009م) " الصورة الفنية في النقد الشعري "، ص85، دار جرير للنشر والتوزيع .
- 21- زهير المارديني (1997م) "حكاية شاعر "، بيان للنشر والتوزيع، طبعة1، بيروت
- 22- سعيد، علي أحمد (1978م) " زمن الشعر أدونيس " ص 48، دار العودة، ط2، بيروت .
- 23- سيف الدين القنطار (2004م) " ، بدوي الجبل دراسة في حياته وشعره " ، ص128 ، دار الينابيع للنشر ، دمشق.
- 24- الشعر والشعرية: الفلاسفة والمفكرون العرب ما أنجزوه وما هفوا إليه، محمد لطفي اليوسفي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م.
- 25- صابر عبد الدايم (2007-2008م)، " التجربة الإبداعية في ضوء النقد الحديث " ، ص 34 .
- 26- الصورة البيانية، محمد شرف حنفي دار النهضة، مصر، القاهرة، 1965م.
- 27- الصورة الشعرية سبيل. دي لويس، ترجمة: أحمد نصيف الجنابي وآخرين، مؤسسة الخليج، 1984م.
- 28- الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، بشرى صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، ص10.
- 29- العزاوي، سمير إبراهيم وحيد. (2010م). التفكير السيميائي وتطوير مناهج البحث الأسلوبية المعاصر. بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه. جمهورية السودان.
- 30- عساف، ساسين (1985م) "الصورة الشعرية، وجهات نظر عربية وغربية"، ص 115، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع.
- 31- عصفور، جابر - الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب - ص362.
- 32- فاروق شوشة (2000م) " زمن الشعر والشعراء " ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- 33- فروجي، رايح (2011م). التجربة الشعرية في شعر بدوي الجبل. رسالة دكتوراه العلوم في النقد الأدبي الحديث. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجزائر.
- 34- فضل، صلاح (1970م) " بلاغة الخطاب وعلم النص " .
- 35- فضل، صلاح (1998م) " علم الأسلوب مبادئ وإجراءاته " ، ص 198، ط1، دار
- 36- ناصف مصطفى (1996م) " الصورة الأدبية " ، دار الاندلس للطباعة والنشر الشروق، القاهرة ، والتوزيع.
- 37- هاشم عثمان (1998م) " بدوي الجبل آثار و قصائد مجهولة " ص 109 ، دار رياض الريس للكتب والنشر ، بيروت .
- 38- اليافي، نعيم تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث"، دمشق، اتحاد الكتاب العرب. ص 24
- 39- اليوسفي، محمد لطفي (1992م) "الشعر والشعرية الفلاسفة والمفكرون العرب ما أنجزوه وما هفوا إليه، ص 9، الدار العربية للكتاب، تونس.